دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	طرز تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط المساجد العراقية
المصدر:	مجلة الآداب
الناشر:	جامعة بغداد - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	علي، فاروق محمد
المجلد/العدد:	ع103
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الصفحات:	289 - 314
رقم MD:	667104
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase
مواضيع:	المعالم الإسلامية، الطراز المعماري، المجتمع الإسلامي، المساجد العراقية، المساجد السلجوقية، مستخلصات الأبحاث
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/667104

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

طرز تخطيط المساجد السلجوقية وأثرها في تخطيط المساجد العراقية

الدكتور فاروق محمد علي

كلية الآداب – جامعة بغداد

الملخص:

من المعلوم أن الدين الإسلامي الحنيف لم يشترط أية شروط تخطيطيه أو عمارية في بناء المساجد، فالأرض كلها مسجد للمسلمين كما ورد في الحديث الشريف، لذا فإن المسجد الأول الذي أقامه النبي (ص) لم يكن سوى ساحة مكشوفة يحيطها جدار من اللبن والطين، ثم ظهرت عناصر المسجد التخطيطية والعمارية تباعاً لضرورات مناخية فسحب، وأصبح المسجد قبل نهاية العصر الراشدي يتكون من (بيت صلاة – صحن مكشوف – أروقة جانبية).

وظل هذا التخطيط متبعاً في مساجد الإقليم الإسلامية قرابة خمسة قرون، حتى أوجد السلاجقة طرزاً جديدة، تمثل أولها بإدخال عنصر الإيوان في مساجد إيران، وطراز آخر يقتصر على بيت صلاة مغلق في مساجد آسيا الصغرى، إن مثل هذه الطرز لم يكن أثرها كبيراً في مساجد العراق آنذاك.

Saljuqi Mosque Planning Styles and Their Effect on the Planning of Iraqi Mosques

Abstract

It is well known that Islam did not provide conditions on the planning and construction of mosques; all earth is a mosque to Muslims where they can perform their prayers wherever they are. The first mosque established by the Prophet Muhammad (PBUHAH) was but an unroofed yard surrounded by walls of clay and raw bricks. Well after that, elements of mosque planning began to appear following only climatic requirements. So, by the end of the Right-caliphate era, a mosque would consist of a prayer-place, a yard, and side-porticos.

This sort of planning remained unchanged in the mosques of Islamic regions for about five centuries. Then, the Saljuqs followed new styles in mosque planning. The first style included the element of a hall in the Iranian mosques; another would include only a closed prayer-house in the mosques of

Asia-Minor. These styles would have no big effects on the planning of Iraqi mosques then.

من المعلوم أن الدين الإسلامي الحنيف لم يشترط أية شروط يجب توفرها في الموضع الذي يريد المسلم أن يقيم صلاته عليه (سواء كانت تخطيطية أم عمارية) سوى شرط الطهارة (أي أن يكون الموضع طاهراً من النجاسات)، ولهذا فإن الأرض، كل الأرض، هي مسجد للمسلم يمكنه أن يصلي في أي بقعة منها، وهذا ما دل عليه الحديث الشريف : ((... وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً .....))[١].

ومن هنا كان المسجد الأول في الإسلام، ونقصد به مسجد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في المدينة المنورة، عبارة عن قطعة من الأرض مساحتها (٦٣ × ٧٠ ذراع) اشتراها الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أصحابها عند قدومه من مكة مهاجراً إلى المدينة، ليؤسس عليها مسجده، ولم ينشئ فيها سوى جدار يحيط بها من جوانبها الأربعة اتخذه من اللبن والطين على أسس من الحجارة[٢] لا لشيء سوى لتمييزها عن ما جاورها من الأرض ليعلم المسلمون أن هذه البقعة مخصصة للمسجد ليعلموا مكانه، وليحافظوا على نظافته وليجنبوه الضوضاء وغيره.

وبعد فترة اشتكى المصلون إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) حر الصيف، فأمر (صلى الله عليه وسلم) بإقامة ظلة (سقيفة) من جريد النخل على عمد من جذوع النخيل[٣]. وكانت هذه الظلة في الجهة الشمالية من المسجد إذ كانت القبلة مازالت باتجاه بيت المقدس، وعندما أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يتخذوا الكعبة قبلة لهم[٤]، قام المسلمون بإنشاء سقيفة ثانية في الجهة الجنوبية من المسجد، وكان تخطيطها على غرار السقيفة الشمالية، أي أنها تتكون من ثلاثة صفوف من الأعمدة في كل صف منها ستة أعمدة، وتركت السقيفة الأولى قائمة ليتخذها (أهل الصفة) مأوى لهم، وهم فقراء المهاجرين ممن لا مأوى لهم[٥]، وبهذا أصبح تخطيط المسجد يتكون من صحن مكشوف تتقدمه ظله أصطلح عليها المختصون (بيت الصلاة)، وأخرى في مؤخرته عرفت (بالمؤخرة).

وبعد أن كثر عدد المسلمين، وسع الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسجد من جهته الغربية والشمالية، وصار بيت الصلاة يتكون من عشرة بلاطات[٦] بعد أن كانت سبعة وأصبحت مساحة المسجد ٩٠×١٠٠ ذراع[٧]، إلا أن هذه التوسعة لم تخل بتخطيط المسجد الذي بقى محافظاً على نظامه.

وفي العصر الراشدي (١١-٤٠ هـ/ ٦٣٢-٦٦١م) زاد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ -٢٣ هـ - ٦٣٤ – ٦٤٤م) في مساحة المسجد من جهة القبلة والجهتين الشمالية والغربية[٨]، إلا أن تلك الزيادة لم تغير من تخطيط المسجد. ثم جاءت أهم أعمال التوسعة والتجديد على يد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥ هـ/ ٦٤٤ – ٦٥٦م) حيث وسعه بعد أن ضاق بالمصلين (وبني جداره الحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج)، وكان ذلك في سنة ٢٤ هـ[٩] (٦٤٤م). ويعتقد بعض المختصين أن إضافة المساحات المظلة على جانبي الصحن المكشوف ربما قد تمت في هذه الزيادة[١٠]، وهي ما اصطلح عليها أسم (المجنبتين)، وبهذا يكون تخطيط المسجد الأول في الإسلام قد تكامل بشكله النهائي الذي أصبح يتكون من صحن مكشوف تحيط به أربع ظلات (بيت صلاة ومجنبتان ومؤخرة). ويعرف هذا الطراز في تخطيط المسجد عند المختصين بطراز (الصحن والظلات) [١١].

صار هذا التخطيط نموذجاً اهتدى به المسلمون وساروا عليه في تخطيط مساجدهم في شرق العالم الإسلامي وغربه، مع بعض الاختلاف في التفاصيل من ناحية عدد الظلات، وكبر المساحة التي يشغلها المسجد أو صغرها، كما قد يختلف عدد الأروقة في ظلة القبلة وفي الظلات الأخرى على جوانب الصحن، وربما يختلف اتجاه بوائك العقود التي تفصل بين الأروقة، وبمعنى آخر فإن كل مسجد كان يتفق مع المساجد الأخرى في المميزات الرئيسية والتخطيط العام ويختلف في التفاصيل[١٢].

واستمر هذا النظام التخطيطي للمساجد متبعاً في جميع المساجد قرابة القرون الخمسة الأولى حتى ظهور السلاجقة[*] على المسرح السياسي، فبعد أن تمكن السلاجقة من مد نفوذهم إلى أقاليم واسعة وتثبيت أركان دولتهم، وجهوا اهتماماً كبيراً لحقل العمارة والفنون فازدهر النشاط العمراني والفني، وظهرت في أثر ذلك طرز جديدة في التخطيط والعمارة والفنون لم تكن مألوفة من ذي قبل. ففي مجال تخطيط المساجد ظهر طراز جديد في إيران بإضافة عنصر الإيوان للمسجد، ويتجلى هذا الطراز في المسجد الجامع في أصفهان الذي يعد من نتاج العنصر الذهبي للسلاجقة المتمثل في عهد الوزير الشهير نظام الملك (المتوفى ٤٨٥ هـ/١٠٩٢م) [١٣].

يعد هذا المسجد من جيل المساجد الأولى في بلاد إيران ويرجع تاريخ بنائه إلى سنة (١٤٣-١٤٥ هـ/ ٧٦٠-٧٦٢م) [١٤]، وهي مستطيل الشكل مساحته ٢٢٥ × ٨٤م مبنى من الأجر والجص، يتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من جهاته الأربعة، ويتكون بيت الصلاة من ستة أساكيب

تقطعها (١٩) بلاطة، وبقى هذا المسجد محافظاً على تخطيطه التقليدي[١٥] حتى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي).

ففي سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢م) جدد المسجد بأمر من السلطان السلجوقي ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢ – ١٠٩٢م)[١٦]، وفي وقت لاحق أضيف عنصر الإيوان إلى تخطيط المسجد، إذ أصبحت الأروقة الأربعة تطل على الصحن بقاعات يتوسطها إيوان كبير، وكانت تحف بإيوان بيت الصلاة (الذي حل محل قبة البهو التي أقيمت سنة ٤٨١ هـ) مئذنة على كل من جانبيه. (شكل ١).

انتشر نموذج تخطيط هذا المسجد في العصر السلجوقي، وأصبح الطراز التقليدي لتخطيط المساجد التي شيدت في إيران بعد ذلك، مثل مساجد الجمعة في قزوين (٥٠٩ هـ/١١١٥م) وجلباياجان (٥١٤ – ٥٣٠ هـ/١١٢٠-١١٣٥م) وسفارية (٥٤٨ – ١١٥٣م) واردستان (٥٦٧هـ / ١١٨٠م)[١٧].

إن ظهور الإيوان في تخطيط المسجد هو ظاهرة غريبة وغير مسبوقة، إذ أن كل عنصر من عناصر المسجد التخطيطية وجد لضرورة وظيفية، إلا أن الإيوان لم يؤدي دوراً وظيفياً محدداً في المسجد، بل إن وجوده عطل دور كل من بيت الصلاة والصحن المكشوف.

فبيت الصلاة الذي عادة ما يكون مستطيل الشكل يمتد أفقياً على طول جدار القبلة، هذا الامتداد المتأتي من طبيعة أداء الصلاة في صفوف منتظمة موازية لجدار القبلة، خلف الإمام، تحول في المساجد الإيرانية ذات الأواوين إلى عدد من القاعات تتوسطها قاعة مركزية كبرى حيث يوجد المحراب الذي تتقدمه قبة عالية[١٨] (شكل ٢). والدعامات الضخمة التي تحمل القبة حجبت وسط المبنى عن الجناحين، وبذلك ضحى المعمار بوظيفة بيت الصلاة (في سبيل شكل خارجي صرف)[١٩].

وكذلك الحال بالنسبة لصحن المسجد الذي كان (وظيفياً) امتداداً لبيت الصلاة، فمن جهة هو يمده بالضوء اللازم ويجدد له الهواء، ومن جهة ثانية فهو يستوعب أعداد كبيرة من المصلين أثناء الصلوات الكبرى في الجمعة والعيدين، إلا أنه لم يعد كذلك في المسجد ذي الأواوين.

وبما أن إضافة الإيوان للمسجد قد أدت إلى تعطيل عناصره التخطيطية الأصلية من أداء وظائفها التي ظهرت أساساً من أجلها، لذا يتبادر إلى الأذهان التساؤل التالي: لماذا إذا أضيف هذا العنصر إلى

تخطيط المسجد؟. ويبدو لنا أن الإجابة على هذا التساؤل ليس من السهولة بمكان في ظل غياب أدلة تاريخية قطعية يمكن بوجودها الركون باطمئنان إلى إجابة محددة.

وقد حاول بعض المختصين مناقشة هذا الموضوع، فذهب البعض إلى أن هذه الظاهرة كانت اقتباساً من القصور الساسانية التي كانت تضم أواوينا ضمن وحداتها البنائية(٢٠). ويبدو لنا أن هذا الرأي ضعيف لأنه لم يقدم تفسيراً واضحاً ومنطقياً للربط بين القصور الساسانية التي تعود إلى العصر السابق للإسلام وبين هذا الطراز في تخطيط المساجد الذي لم يظهر إلا في الربع الأخير من القرن الخامس الهجري، ناهيك عن الأصل العراقي لعنصر الإيوان الذي ظل مستخدماً منذ ظهوره في العمارة العراقية القديمة في الألف السادس قبل الميلاد مروراً بحقبة قبل الإسلام وصولاً إلى العصر الإسلامي(٢١)، وهناك أمثلة عديدة على ذلك لا يسع المجال لذكرها. وحاول آخرون إرجاع أسباب هذه الظاهرة إلى عوامل سياسية ذات أبعاد مذهبية(٢٢).

ونعتقد أن تفسير هذه الظاهرة يجب أن ينطلق من فهم العمارة السلجوقية كوحدة واحدة، فمن المعروف أن من أهم المستحدثات العمارية التي أتحف بها السلاجقة عالم الإسلام هي (المدارس)، والحقيقة أنه إذا كانت (المدرسة) كمؤسسة للتعليم قد عرفت اعتباراً من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فإن الفضل يرجع إلى الوزير نظام الملك في نشر نظام المدرسة كمؤسسة حكومية لا تكتفي بتقديم العلم فقط، بل تهيئ لطلابها أيضاً المأكل والمسكن، كما تهيئ – إلى جانب ذلك – لمدرسيها الذين أصبحوا موظفين رسميين الرواتب الشهرية من نقدية وعينية، وعلى هذا الأساس بني نظام الملك المدارس في مدن الشرق مثل نيسابور وطوس وبغداد(٢٣).

وإذا ما تفحصنا تخطيط المدارس على وجه العموم نجد، بالإضافة إلى المشتركات التخطيطية بينها وبين المساجد، أن الإيوان يعد العنصر الأساسي في تخطيطها، ويبدو أن السلاجقة رغبوا في الموائمة بين تخطيط كل من المسجد والمدرسة، فظهر على أيديهم هذا الطراز الجديد من تخطيط المساجد.

أما تأثير هذا الطراز على مساجد العراق في تلك الحقبة، فيعتقد بعض المختصين أن المسجد السلطاني الكبير الذي شيده السلطان ملكشاه في بغداد سنة (٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م) ربما كان قد بني على هذا النحو، إلا أن هذا المسجد قد أندثر ولم يصل إلينا شيء منه.

وحتى إذا صح هذا الاعتقاد فإنه لا يدلل سوى عن تأثر محدود لا يكاد يذكر، إذ لم تصل إلينا من العراق مساجد أخرى يمكن تصنيف تخطيطها ضمن هذا الطراز.

وإذا ما انتقلنا إلى آسيا الصغيرة نجد أن السلاجقة قد عمدوا منذ بدايات تغلغهم إليها إلى بناء مسجد في كل مدينة تدخل تحت سيطرتهم، إذ نادراً ما قام السلاجقة باختيار كنيسة مسيحية لهذا الغرض، حيث كان توجههم ضد التدخل في الشؤون الدينية للسكان المحليين وكان يتم عادة اختيار موقع المسجد الجامع في أحسن بقعة من المدينة(٢٥).

ويلاحظ أن السلاجقة في بادئ أمرهم في آسيا الصغرى قاموا بتخطيط مساجدهم وفق التخطيط التقليدي للمساجد، أي نظام الصحن المكشوف والأروقة المحيطة به، كما هو الحال في أول مسجد سلجوقي في آسيا الصغرى، مسجد ديار بكر، الذي يعود تاريخه إلى سنة (٤٨٤ هـ/١٠٩٢م) حسب نص الشريط الكتابي بالخط الكوفي المورق على جدران المسجد والذي يحمل اسم السلطان السلجوقي (ملكشاه) (٤٦٥ – ٤٨٥ هـ/ ١٠٧٢- ١٠٩٢م). وكان تأثر الجامع الأموي في دمشق حاضراً بقوة في هذا المسجد (عدا كونه يفتقر إلى القبة) ولا عجب في ذلك إذا ما علمنا أن (ملشكاه) قد جدد عمارة قبة الجامع الأموي بدمشق.

والملاحظ أن التخطيط التقليدي لهذا المسجد لم يكن له تأثير يذكر في تخطيط المساجد السلجوقية اللاحقة في آسيا الصغرى، إذا بدأ السلاجقة ينحون منحى آخر في تخطيط مساجدهم، يختلف عن الطراز التقليدي في تخطيط المساجد، وعن طراز (المساجد ذوات الأواوين) الذي ابتدعوه في بلاد إيران.

ويبدو أن مناخ آسيا الصغرى القاسي قد اضطر السلاجقة (كلما ابتعدوا غرباً) إلى التخلي عن طراز المسجد ذي الصحن المكشوف الذي يطل عليه بيت الصلاة ببائكة مفتوحة من العقود، وأصبح المسجد يتكون فقط من بيت للصلاة مغطي متعدد الأساكيب تظهر به عدة دعائم منتظمة وقد يعلو بيت الصلاة قبة أو أكثر(٢٦). وإن وجد الصحن المكشوف فلا يعدو كونه ساحة صغيرة أمام بيت الصلاة ولا تتصل به لعدم وجود مدخل يربط بينهما. كما اختفت في هذا الطراز الأروقة المحيطة بالصحن (المجنبتان والمؤخرة).

إن هذا الطراز من تخطيط المساجد قد قطع الترابط العضوي بين الصحن (إن وجد) وبيت الصلاة. فالصحن المكشوف كما أسلفنا هو العنصر المحوري في تخطيط المسجد، فهو الذي يمد بيت الصلاة والأروقة المحيطة به بالإضاءة والتهوية اللازمتين، كما أنه يعد امتداداً لبيت الصلاة إذ تنعقد فيه

صفوف المصلين عند اكتظاظ المسجد بهم، فقطع بيت الصلاة بجدار عن الصحن يقطع الصلة بينهما ويلغي أي دور للصحن في هذا الطراز من المساجد.

وغالباً ما تكون مساجد هذا الطراز ذات مساحات ليست كبيرة، وعادة ما يلحق بها مدفن أو أكثر لمنشئيها وذويهم أو تلحق بها مستشفى. (ولشحة المعلومات عن التفاصيل العمارية لهذه المساجد وندرتها سيقتصر بحثنا على الجوانب التخطيطية فحسب).

وفي مقدمة أمثلة هذه المساجد، مسجد (علاء الدين) الذي شيده السلطان ركن الدين مسعود (٥١٠- ٥٥٠ هـ/ ١١١٦ – ١١٥٥م) في قونية عام ٥١٠ هـ/ ١١١٦م. قد أدخلت عليه تعديلات كثيرة في العهود التالية، ويتكون من بيت للصلاة تعلوه قبة[٢٧]، يتقدمه صحن لا يتصل به، ويضم مبنى هذا المسجد مدفنين، أحدهما ذو تخطيط عشري الإضلاع، بناه السلطان السلجوقي قليج أرسلان الثاني (٥٥٠ – ٥٨٨ هـ/ ١١٥٥ – ١١٩٢م) سنة (٥٥٠ هـ/١١٥٥م) استناداً إلى نص الشريط الكتابي بخط النسخ الموجود على جدرانه، وإلى جوار هذا المدفن يوجد مدفن آخر ثماني الأضلاع يعتقد أنه متأخر.

ويبدو أن السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ (٦١٦-٦٣٤ هـ/ ١٢١٩- ١٢٣٧م) كان آخر من قام بأعمال الترميم والإضافات، وقد ذكر أسمه في النصوص الكتابية في المسجد باعتباره هو من أتم البناء مما أدى على تسمية المسجد كله باسم (مسجد علاء الدين).

ومسجد (قيصري) الذي يعود تاريخ بنائه إلى سنة (٥٣٠ هـ/ ١١٣٥م) والذي مر بالعديد من مراحل الترميم والإضافات، كانت أهمها تلك التي تمت سنة (٦٠٢ هـ/١٢٠٥م) أيام حكم السلطان كيخسرو الأول بن قليج أرسلان (٦٠١-٦٠٨ هـ/ ١٢٠٤ – ١٢١٢م)، والمسجد مستطيل الشكل يتكون من ثمانية أساكيب، أوسعها أسكوب المحراب، تقطعها خمسة بلاطات، أوسعها بلاطة المحراب، والمربع الواقع أمام المحراب والناتج من تقاطع أسكوب المحراب مع بلاطته يعلوه قبة كبيرة[٢٨]. وهناك قبة أخرى أصغر حجماً تعلو المربع الناتج من تقاطع بلاطة المحراب مع الأسكوب الرابع، ولا أثر للصحن في هذه المسجد (شكل ٣).

والمسجد الآخر هو (الجامع الكبير) في مدينة ديوريكي الذي بناه السلطان علاء الدين كيفياذ سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨ – ١٢٢٩م) حسب النص الكتابي الذي يعلو المدخل الرئيسي للمسجد. وهو ذو مساحة مستطيلة مستعرضة قسمت إلى ثلاثة أساكيب تقطعها ثلاثة بلاطات وليس للمسجد صحن، بل ألحقت به مستشفى (شكل ٤).

وإذا ما بحثنا عن أثر هذه الطراز في تخطيط المساجد في العراق التي تعود إلى تلك الحقبة التاريخية، فإننا لا نجد له صدى إلا في نطاق ضيق وفي الجزء الشمالي من العراق (ربما بحكم تقارب الظروف المناخية إلى حد ما)، إذ ظهر على غراره مثالان فقط في مدينة الموصل مع بعض التعديل كمحاولة من المهندسين للتوفيق بينه وبين الطراز التقليدي السائد في تخطيط المساجد العراقية.

المثال الأول هو (الجامع النووي) نسبة إلى نور الدين محمود أبن مؤسس دولة الأتابكة(**) عماد الدين زنكي، الذي أمر بإنشائه سنة ٥٦٦ هـ/١١٧١م عند زيارته إلى الموصل، وتم الانتهاء منه سنة ٥٦٨ هـ/١١٧٣م[٢٩]. وقد شهد هذا المسجد العديد من أعمال الترميم والتعمير، لكن يبدو أنها لم تؤثر في تخطيطه إنما كانت مجرد إعادة بناء أقسام تهدمت أو تعرضت للتخريب[٣٠].

يقع هذا المسجد في وسط مدينة الموصل، تشغل أبنيته في الوقت الحاضر قطعة أرض شبه منحرفة ويقتصر تخطيطه على بيت للصلاة مستطيل الشكل مساحته (٥٨٥م) وصحن مكشوف تنعدم فيه الأروقة الجانبية (المجنبتان والمؤخرة) [٣١]، في وسطه حوض كبير من الرخام للوضوء تغطية قبة محمولة على أعمدة رخامية[٣٢].

بيت الصلاة مستطيل الشكل مبنى بالأجر والجص يتألف من أربعة أساكيب واثنتي عشرة بلاطة، وتقوم سقوفه على دعامات ضخمة تحمل عقوداً مدببة مطولة موازية لجدار القبة. ورتبت بلاطة المحراب بشكل معين لغرض إقامة قبة عليها تشغل عرض بلاطتين[٣٣].

تم تقسيم بيت الصلاة إلى قسمين، إذ أقيم جدار بين الأسكوبين الثالث والرابع يتوسطه مدخل يقع على الخط المحوري للمحراب، ونتج عن هذا التقسيم مصلي داخلي لا يتصل بالصحن، أطلق عليه المختصون أسم (المصلي الشتوي)، ومصلي ثان يتكون من أسكوب واحد ويطل على الصحن ببائكة من العقود اصطلح عليه اسم (المصلي الصيفي) (شكل ٥). ويبدو أن الظروف المناخية في شمال العقار قد لعبت دوراً رئيساً في تقسيم بيت الصلاة في هذا المسجد إلى مصلى مغلق وأخر مفتوح، حيث البرد القارس في الشتاء والحر اللاهب في الصيف[٣٤].

وقد فتحت في الجدران الشرقية والجنوبية والشمالية للمصلي الشتوي (المغلق) نوافذ للإضاءة والتهوية خصوصاً في فصل الصيف. ويشتهر هذا المصلي بقبته المرتفعة نسبياً التي تقوم على مربع يتقدم المحراب، ناتج من تقاطع بلاطة المحراب مع أسكوبين من أساكيب هذا المصلي والقبة الأصلية مزدوجة، السفلية منها نصف كروية تجلس على رقبة أسطوانية تعلو قبة مخروطة مضلعة ذات (١٦) ضلعاً[٣٥].

أما محراب المسجد فهو فريد من نوعه، وكان يتوسط جدار القبلة وهو معروض في الوقت الحاضر في إحدى قاعات المتحف العراقي حيث تم نقله إلى بغداد بعد أعمال الصيانة والتجديد التي أجريت على هذا المسجد عام ١٩٤٤ والتي شملت مع أجزاء بيت الصلاة.

وهذا المحراب معمول من الرخام ويتألف من عدة قطع نحتت بأدق الزخارف وأجملها، ويتألف من حنيتين عقودهما مدببة ترتكز أطرافها على أعمدة أسطوانية حلزونية، ويؤطرهما إطار من مشاك صغيرة ذات عقود مفصصة. وشغلت بواطن هذه المشاكي وحنية المحراب وأكتاف العقود فيه بأدق الزخارف النباتية المحفورة حفراً عميقاً[٣٦].

ويتميز هذا المسجد بمئذنته الحدباء التي تقع في الركن الشمالي الشرقي من المسجد وهي من المآذن المشهورة في العالم العربي الإسلامي، وهي مائلة لذلك دعيت بالحدباء، وهي أطول مآذن العراق إذ يزيد ارتفاعها عن (٥٥ م) وتتكون من قاعدة منشورية طول ضلعها (٦م) وارتفاعها (١٦م)، الجزء السفلي منها مبنى بالحجارة إلى ارتفاع (٨,٨٠م)، أما الباقي فمبنى بالأجر والجص، ويقوم على القاعدة بدن اسطواني الشكل مبني بالأجر والجص، ومغطي كله بزخارف أجرية غاية في الدقة والإبداع، وهي مقسمة إلى سبع أسطوانات بواسطة أشرطة زخرفية دقيقة تدور دورة كاملة مع البدن، وهذه المئذنة خالية من الكتابات التذكارية، ويرى المختصون أنها بنيت في زمن تأسيس المسجد في القرن السادس الهجري (١٢م) وقد شيدت على نمطها مآذن أخرى في سنجار وداقوق إلا أنها لا تضاهيها في الارتفاع[٣٧].

والمثال الثاني هو الجامع المجاهدي أو جامع مجاهد الدين[***] الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي في المدينة ويطل على نهر دجلة، ابتدأ البناء فيه سنة (٥٧٢ هـ/١١٧٦م) وتم الانتهاء منه سنة (٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م) وقد بذلت أموال طائلة لإتقان بنائه وتزيينه بالزخارف الجميلة[٣٨].وقد ذكره الرحالة العربي أبن جبير الذي زار الموصل سنة (٥٨١ هـ/١١٨٥م) ووصفه بقوله: "بني مجاهدين الدين قيماز جامعاً على شط دجلة لم أر وضع جامع أحفل منه، بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه، وكل ذلك نقش في الأجر، أما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا أحسن) [٣٩]. وذكره أبن بطوطة الذي زار الموصل سنة ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٩م وأعجب به أيضاً[٤٠].

شهد هذا المسجد في القرون اللاحقة العديد من أعمال التعمير والترميم والتجديد، ويبدو أن تلك الأعمال لم تغير في أي من عناصره التخطيطية ومازالت الصلوات الخمس تقام فيه حتى الوقت الحاضر(٤١).

المسجد مستطيل الشكل تقدر مساحته بـ(٢١٠٠م٢) تقريباً، وتخطيطه يقتصر على بيت للصلاة وصحن مكشوف واسع، وقد شيد أغلبه بالأجر والجص، واستخدم الحجر على نطاق ضيق(٤٢).

تخطيط بيت الصلاة في هذا المسجد لا يختلف عن سابقة في الجامع النووي، وهو مستطيل الشكل أبعاده من الشرق إلى الغرب (٢٥م) ومن الشمال إلى الجنوب (١٥,١٠م)، يتألف من ثلاثة أساكيب وثلاثة بلاطات، وينقسم إلى مصلي شتوي (مغلق) وأخر صيفي (مفتوح)، يبلغ عمق المصلي الشتوي حوالي (١٠,٤٠م)، أما الصيفي فعمقه حوالي (٤,٧٠م)، وصمم المصلي الشتوي بحيث تكون بلاطة المحراب مربعة الشكل تقريباً، لغرض إقامة قبة كبيرة عليها(٤٣) (شكل ٦).

تميزت جدران بيت الصلاة بسمكها وارتفاعها، وهناك عدد من الحنايا المستطيلة في جدران المصلي الشتوي من الداخل الذي تميز بناؤه بسمك جدران بلاطة المحراب حيث يزيد سمكه على ضعف سمك الجدران المتصلة به لتهيئة قاعدة قوية (تتحمل ثقل القبة المرتفعة التي تغطي كامل بلاطة المحراب) مربعة الشكل ليسهل إقامة قبة عليها(٤٤).

تستند عقود بيت الصلاة على دعامات مستطيلة تقع اثنتان منها على جانبي بلاطة المحراب وتحمل كل منهما أطراف ثلاثة عقود. أما باقي الدعامات فمتصلة بجدران المصلي وعددها ستة دعامات مستطيلة أيضاً وتسند الأطراف الست لهذه العقود، ويقسم كل من العقدين المدببين المنفرجين الموازيين لجدار القبلة البلاطتين الجانبيتين إلى قسمين ويحمل الجدار الذي تستند عليه الأقبية نصف الأسطوانية التي تشكل سقوف البلاطتين من جهة والتي تسند على جدران المصلي من الجهة الأخرى(٤٥).

اشتهر هذا المسجد بقبته التي تعد أقدم قبة محراب أصلية شاخصة في المساجد العراقية، وتم تهيئة بلاطة المحراب بجعل ارتفاع جدرانها فوق مستوى سطح البلاطتين الجانبيتين، وفتحت نافذة في الجدار الشمالي لإدخال الضوء إلى بيت الصلاة، كما زاد المعمار في ارتفاع جدران المنطقة الانتقالية (من الشكل المربع إلى الشكل المثمن) وفتح فيها أربع نوافذ أيضاً، وجعل رقبة القبة الأسطوانية غير مرتفعة حيث تجلس عليها القبة نصف الكروية والمدببة قليلاً، ويبلغ ارتفاع قمة القبة حوالي (٢٠م)، ويزينها من الخارج شريط من الحنايا الغائرة ذات أشكال هندسية معينة تدور حول القبة لتحدد اتصال القبة بالرقبة،

وشغلت هذه الحنايا بآجر مزجج باللون الأزرق الشذري حتى بدت القبة وكأنها مطوقة بإكليل من حجر الشذر(٤٦).

كما تميز هذا المسجد بمحرابه الذي يتوسط جدار القبة وهو عبارة عن حنية ذات عقد مدبب تؤطرها حنية أكبر منها ذات عقد مدبب مزخرف بأدق الزخارف النباتية المحفورة في الجص، يبلغ ارتفاع هذا المحراب (٦,٦م) وعمق تجويفه (٣,١٠م) وسعة فتحته (٥م) تقريباً(٤٧). (شكل ٧)

إن تخطيط وبناء بيت صلاة الجامع المجاهدي وعناصره العمارية والزخرفية يمثل مرحلة متقدمة إذا ما قرون مع مصلي الجامع النوري الذي شيد قبله بسنوات قليلة(٤٨).

إن هذين المسجدين يعودان إلى فترة حكم الأتابكة في الموصل، ومن المعلوم أن دولة الأتابكة هي وريثة دولة السلاجقة، إذ ساروا على خطاهم في تشجيع العلم والعلماء والأدباء والصناع، وتبنوا طرزهم في العمارة والفنون، فلا غرابة إذا في أن نجد بعض الصدى لطرز العمارة السلجوقية في عمائر الموصل مع بعض التحرير الذي فرضته الظروف المناخية.

الخلاصة :

مما تقدم نخلص إلى أن السلاجقة بعد أن مدوا نفوذهم إلى أغلب أقاليم شرق العالم الإسلامي، وما إن تمكنوا من تثبيت أركان دولتهم حتى وجهوا اهتمامهم إلى رعاية العالم والعلماء والأدباء، وشرعوا ببناء مختلف أنواع العمائر من مساجد ومدارس ومارستانات وأضرحة، وازدهرت الفنون والصناعات بتشجيع ودعم من سلاطينهم وحكامهم، فكان من الطبيعي والمنطقي أن تظهر طرز جديدة في حقول العمارة والفنون، منها طرز في تخطيط المساجد (كما مر بنا في مسجد إيران وآسيا الصغرى)، إلا أن أثر تلك الطرز في مساجد العراق لم يكن كبيراً، ويبدو أن قوة رسوخ التقاليد التخطيطية والعمارية عند المعمار العراقي من جهة، والظروف المناخية في العراق من جهة ثانية، قد حالت دون ذلك.

المصادر والمراجع :

١- أبن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني :

(١) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات.

(٢) الكامل في التاريخ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧ هـ.

٢- أبن بطوطة، أحمد :

رحلة أبن بطوطة، طبعة مصر، ١٩٥٨.

٣- ابن جبير، محمد بن أحمد.

رحلة أبن جبير، طبعة مصر، ١٩٥٥.

٤- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد :

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الهند، ١٣٥٨ هـ.

٥- أبن رسته، أبو علي أحمد بن عمر :

الأعلاق النفسية، ليدن، ١٨٩١.

٦- أبن العميد، الشيخ المسكين جرجس بن العميد :

تاريخ المسلمين، ليدن ١٠٣٥ هـ.

٧- أبن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي:

ذيل تاريخ دمشق، طبع بيروت، ١٩٠٨.

٨- أبو داود، سلمان بن الأشعث :

السنن، بعناية الشيخ أحمد سعد علي، القاهرة، ١٩٥٢.

٩- أتنكهاوزن، ريتشارد :

الفنون الزخرفية والتصوير، شخصيتها ومجالها، كتاب تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨.

١٠- أحمد، محمد حلمي :

الخلافة والدولة في العصر العباسي، طبعة مصر، ١٩٥٩.

١١- آل جعفر، زين العابدين موسى جعفر :

الإيوان في العمارة العراقية حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

١٢- أمين، حسين :

تاريخ العراق في العصر السلجوقي، دار الشؤون الثقافية، ط٢، بغداد، ٢٠٠٦.

١٣- بارتولد، و :

تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٣٥٨هـ- ١٩٥٨م).

١٤- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي :

صحيح البخاري، طبع دار الطباعة العامرة، إسطنبول، ١٤٠١ هـ/١٩٨١م.

١٥- البلاذري، أحمد بن يحيى :

فتوح البلدان، نشره ووضع فهارسه صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٥٧.

١٦- البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين :

تاريخ البيهقي، القاهرة، ١٩٥٦

١٧- التوتونجي، نجاة يونس:

المحاريب العراقية، بغداد، ١٩٧٦.

١٨- الجميلي، رشيد :

دولة الأتاكبة في الموصل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.

١٩- الحسيني، علي السيد أحمد :

تاريخ الدولة السلجوقية، لاهور، جامعة بنجاب، ١٩٣٣.

٢٠- حمدي، حافظ :

الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، طبعة مصر.

٢١- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مادة – أتا – نيكلسون، طبعة مصر، ١٩٣٣.

٢٢- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد :

تاريخ دول الإسلام، حيدر آباد، ١٣٦٤ هـ.

٢٣- الراوندي، محمد بن علي بن سليمان:

راحة الصدور وآية السرور، نقله للعربية إبراهيم أمين الشواربي وزملاءه.

٢٤- رايس، تالبوت تامارا :

السلاجقة، تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨.

٢٥- سبط أن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف :

مرأة الزمان في تاريخ الأعيان، طبعة الهند، ١٩٥١.

٢٦- سلمان، عيسى، ونجاة يونس ونجلة العزي وهناء عبد الخالق :

العمارات العربية الإسلامية في العراق، ج١، بغداد، ١٩٨٢.

٢٧- السمهودي، نور الدين علي بن أحمد :

-وفاء الوفي بأخبار دار المصطفى، دار أحياء التراث العربي، بيروت ط٢، ١٩٧١.

-خلاصة الوفي بأخبار دار المصطفى، طبع مصر، ١٣٥٨هـ.

٢٨- شافعي، فريد :

العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.

٢٩- عبد الحميد، سعد زغلول :

العمارة والفنون في دولة الإسلام، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٣٠- علام، نعمت إسماعيل :

فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

٣١- كونل، أرنست :

الفن الإسلامي، ترجمة د. أحمد موسى، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

٣٢- مارسيه، جورج :

الفن الإسلامي، ترجم بمعرفة عفيف بهنسي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، ١٩٦٨.

٣٣- محمد، غازي رجب :

العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، ١٩٨٩.

٣٤- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب :

نهاية الآرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٦٣.

٣٥- يوسف، شريف :

تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، ١٩٨٢.

٣٦- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب :

البلدان، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٧.

37- Gabriel,A, Monuments tures d'Antolie, Paris, 1934, p. 34

الهوامش

١) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبن إبراهيم البخاري الجعفي: صحيح البخاري، طبع دار الطباعة العامرية، إسطنبول، ١٤٠١ هـ-١٩٨١م، ج١، ص٧٦.

٢) السمهودي، نور الدين على بن أحمد : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، بيروت، دار أحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٧١، ج١، ص٣٣٥. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الآرب في فنون الأدب، القاهرة، ١٩٦٣، ج١٦، ص ٣٣٤.

٣) السمهودي : المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٥.

٤) البخاري : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٤.

٥) السمهودي : المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٦. أبو داود، سلمان بن الأشعث: السنن، بعناية الشيخ أحمد سعد علي، القاهرة، ١٩٥٢، ج٢، ص ٣٦١.

٦) السمهودي : المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٨.

٧) أبن رسته، أبو علي أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة، ليدن ١٨٩١، ص٩٤. يوسف، شريف: تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور، بغداد، ١٩٨٢، م١، ص٤٤.

٨) البلاذري، أحمد بن يحيى : فتوح البلدان، نشره ووضع فهارسه صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، ١٩٥٧، ص ٦.

٩) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : البلدان، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٧، ج٢، ص١٩١. السمهودي: خلاصة الوفي بأخبار دار المصطفى، طبع دار الطباعة بمصر، ١٣٥٨ هـ، ص ١٣٤-١٣٧.

١٠) شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص ٦٧.

١١) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

١٢) المصدر نفسه، ص ٢٤١ - ٢٤٣.

(*) السلاجقة فرع من قبائل الغز انسابوا بحدود سنة ٣٤٥ هـ/ ٩٥٦م من سهول التركستان وسكنوا أول أمرهم في بلاد ما وراء النهر (ابن العميد، الشيخ المسكين جرجس بن العميد: تاريخ المسلمين، ليدن ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥م، ص ٢٦٧) واعتنقوا الدين الإسلامي عند مجاورتهم للسامانيين (بارتولدو: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨م، ص ١٠٨). وقد سمي هذا الفرع بالسلاجقة نسبة إلى جدهم الأعلى سلجوق بن دقماق (الحسيني، علي السيد أحمد : تاريخ الدولة السلجوقية، لاهور جامعة البنجاب ١٩٣٣، باعتناء محمد إقبال، ص ٢).

وكان لسلجوق بن دقماق أربعة أولاد : إسرائيل (بيغو أرسلان) وموسى بيغو ويونس وميكائيل (الحسيني : المصدر السابق ص٢). وخلف إسرائيل ولداً أسمه قتلمش وهو الذي رأس سلاجقة الروم، وخلف ميكائيل ولدين، طغرليك وجغري، وقاد إسرائيل قومه بعد وفاة والده سلجوق (أمين، حسين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ط٢، بغداد، ٢٠٠٦، ج١ ص٤٨). وكان السلاجقة من الأقوام التي اصطبغت بالصبغة البدوية إذ عاشوا عيشة التنقل من مكان لآخر طلباً للرزق (المصدر نفسه ص ٤٨).

أخذ نفوذ السلاجقة يتعاظم تدريجياً، مما لم يرق ذلك للدولة الغزنوية، فوقعت معارك عددية بينهم حتى تمكن السلاجقة من إنزال هزيمة نكراء بالجيوش الغزنوية سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م واستولوا على خراسان ونيسابور وأعتلى طغرلبك كأول سلطان للسلاجقة، وكان هذا إيذاناً بولادة كيان سياسي جديد على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي، ولم يمض سوى عامان حتى وقعت المعركة الفاصلة بين السلاجقة وما تبقى من الجيوش الغزنوية، معركة (دندانقان) سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩م، والتي أنهت تماماً الصراع لصالح السلاجقة (البيهقي، أبو الفضل محمد بن حسين، تاريخ البيهقي، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٦٨٨). ثم مدوا نفوذهم إلى جميع بلاد إيران، حينذاك بدأ السلاجقة بالاتصال بالخلافة العباسية ليحصلوا على اعترافها بشرعية حكمهم، وكانت الخلافة العباسية آنذاك في أعلى درجات الضعف وهي تزرح تحت السيطرة البويهية، فدخل طغرلبك بغداد بعد موافقة الخليفة العباسي، وقضي على البويهيين (أبن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني: الكامل في التاريخ، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٥٧ هـ، ج٢ ص ٧١). وبعد وفاة طغرلبك سنة ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣م أعتلى عرش السلاجقة أبن أخيه ألب أرسلان ومعه وزيره المشهور نظام الملك، والذي توسعت الدولة السلجوقية في عهده توسعاً كبيراً وكانت له

مع الروم وقائع وحروب لعل أشهرها وأهمها معركة (ملاذكرد) على مشارف آسيا الصغرى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م الذي أسر فيها إمبراطور الروم (رومانوس ديوجين) الراوندي، محمد بن علي بن سليمان: راحة الصدور وآية السرور، نقله للعربية د. إبراهيم أمين الشواربي وزملاؤه، ص ١٨٥، ١٨٩. أبن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي: ذيل تاريخ دمشق، طبع بيروت، ١٩٠٨، ص ٩٩-١٠٥، أبن الأثير: الكامل ج٨، ص ١٠٩-١١٠). وفي عصره شيدت المدارس النظامية. وبعد وفاته توالى ابنه ملكشاه سلطنة دولة السلاجقة سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م، وكانت علاقته بالخلافة العباسية طيبة، وقد زار بغداد أكثر من مرة وفي سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م أمر ببناء جامع السلطان فيها (ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ١٥٩. أبن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الهند، ١٣٥٨ هـ، ج٩ ص ٢٥٧ إلا أنه ذكر بناء جامع السلطان سنة ٤٨٥، ج٩ ص٦٠). وقد اهتم هذا السلطان بحفر القنوات وإقامة الأسوار والقلاع كما كان كثير التشجيع للعلماء والأدباء، وبوفاته بدأت دولة السلاجقة بالضعف والتفكك لتولي الحكام الضعفاء وظهور الخلافات فيما بينهم، ولقد درج بعض المستشرقين إلى تقسيم تاريخ السلاجقة.

١- السلاجقة الفرص العظام (وهي مرحلة القوة والدولة الموحدة).

٢- سلاجقة إيران والعراق.

٣- سلاجقة الروم (رايس، تامارا تالبوت : السلاجقة، تاريخهم وحضارتهم، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨، ص ٥-٦.

١٣) عبد الحميد، سعد زغلول: العمارة والفنون في دولة الإسلام، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ٤٠٤.

١٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

١٥) مارسيه، جورج: الفن الإسلامي، ترجمة بمعرفة عفيف بهنسي، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، ١٩٦٨، ص ٦٣ – ٦٤.

١٦) علام، نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط٢، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧، ص ١٠١.

١٧) المصدر نفسه، ص ١٠٢.

١٨) عبد الحميد: المصدر السابق، ص ٢٤٩.

١٩) أتنكهاوزن، ر: الفنون الزخرفية والتصوير، شخصيتها ومجالها، بحث في كتاب تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨، ص ٤١٨.

٢٠) المصدر نفسه، ص ٤١٨.

٢١) آل جعفر، زين العابدين موسى جعفر: الإيوان في العمارة العراقية حتى نهاية العصر العباسي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ٨٩.

٢٢) كونل، أرنست : الفن الإسلامي، ترجمة د. أحمد موسى، دار صادر، بيروت ١٩٦٦، ص ٦٣-٦٤.

٢٣) عبد الحميد : المصدر السابق، ص ٤١٢.

٢٤) كونل : المصدر السابق ص ٦٦. علام : المصدر السابق، ص ١٠٢، عبد الحميد : المصدر السابق، ص ٤١٠.

٢٥) رايس : المصدر السابق، ص ١٦٥ – ١٦٦.

٢٦) علام : المصدر السابق، ص ١١٦.

٢٧) المصدر نفسه، ص ١١٧.

28) Gabiel, A, Monuments Tures d'Antolie, Paris, 1934, P.34.

(**) الأتابكة: الآتابك لفظ تركي مركب من مقطعين : (آتا) ومعناها (أب) و(بك) وتعني (أمير)، فهي بذلك تعني (الوالد الأمير)، وكان هذا اللقب يطلق على من يتولى تربية أولاد سلاطين السلاجقة بالنسبة لحداثة سنهم (دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول، مادة : أتا-، نيكلسون، طبعة مصر، ١٩٣٣، ص ٤٣٣) وكان من مظاهر الحكم السلجوقي في العالم الإسلامي ظهور (الأتابكيات) التي ترجع إلى نظام الإقطاع الذي ابتدعه السلاجقة وطبقوه في أقاليم دولتهم وأصبح عنصراً هاماً من نظمهم السياسية والاجتماعية (حمدي، حافظ: الشرق الإسلامي قبيل الغزو والمغولي، طبعة مصر، ص ٩٤). وأول من أشاع نظام الإقطاع الوزير السلجوقي (نظام الملك) الذي صار يمنح الرؤساء والمقربين الإقطاعيات الزراعية لاستثمارها بدلاً من المرتبات الثابتة أو كجزء منها، وكان على هؤلاء الأمراء في المقابل أن يتعهدوا بحفظ الأمن والاستقرار في مناطقهم، وكانوا مسؤولين عن هذا كله أمام السلطان مباشرة (أحمد، محمد حلمي: الخلافة والدولة في العصر العباسي، طبعة مصر، ١٩٥٩، ص ١٨١). وانتشرت هذه الإقطاعيات خاصة

بعد وفاة السلطان ملكشاه أبن ألب أرسلان سنة ٤٨٥ هـ وتصدع الدولة السلجوقية وانقسام السلاجقة على أنفسهم، مما زاد في إضعافهم، فاستقل كل أمير في مقاطعته وعمل على توسيع منطقة نفوذه على حساب القوى المجاورة وضمها إلى مقاطعته (الجميلي، رشيد: دولة الأتابكة في الموصل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٨). وكان هؤلاء الأتابكة هم أصحاب النفوذ الفعلي في البلاد التي يعهد إليهم الحكم فيها، فقد خول إليهم من السلطان ما جعلهم في الغالب مستقلين عن الحكومة المركزية. ومعظم مؤسسي الأتابكيات هم من المماليك الذي جلبوا من بلاد الترك وتولوا مناصب رفيعة في الجيش والبلاط لما كانوا يتمتعون به من قوة البدن والنظام البدوي الذي كانوا يعيشونه، وقد رفع هذا النظام بعض المتاعب الإدارية والحربية عن الحكومة المركزية. ومن أشهر الأتابكيات في العالم السلجوقي (أتابكية الموصل) التي أسسها عماد الدين زنكي سنة ٥٢١ هـ/ ١٢٢٧م، وأتابكيات خوارزم، ودمشق، وغيرها. (الجميلي: المصدر السابق ص ٢٨- ٣٠).

٢٩) أبن الأثير : الكامل ج١١ ص ٣٦٤. سبط أبن الجوزي، شمس الدين أبن المظفر يوسف: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، طبعة الهند، ١٩٥١، ج٨ ص ٢٨٢، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد : تاريخ دول الإسلام، حيدر آباد، ١٣٤٦ هـ، ج٤، ص ٢٠٢.

٣٠) سلمان، عيسى وآخرون: العمارات العربية الإسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٢، ج١، ص١٥٢.

٣١) محمد، غازي رجب: العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، بغداد، ١٩٨٩، ص٣١٩.

٣٢) سلمان : المصدر السابق، ص ١٥٢ – ١٥٣.

٣٣) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

٣٤) المصدر نفسه، ص ١٥٦، محمد: المصدر السابق، ص٣١٩.

٣٥) المصدر نفسه، ص ١٥٧.

٣٦) محمد: المصدر السابق ص ٣٢٧.

(***) أبو المنصور قايماز بن عبد الله الزيني الملقب بمجاهد الدين، الذي تولى دزدارية قلعة الموصل سنة ٥٧١ هـ (أبن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣، ص ١٧٧) وقد عرف عنه حبه للعلم والعمران فكانت له آثار حسنه في الموصل وأربيل

ومنها الجامع المجاهدي (أبن الأثير: الكامل ج١١، ص ٤٦١. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨، ص٣٣٨).

٣٧) أبن جبير، محمد بن أحمد : رحلة أبن جبير، طبعة مصر، ١٩٥٥، ص ٢١٠.

٣٨) أبن بطوطة، أحمد : رحلة أبن بطوطة، طبعة مصر، ١٩٥٨، ج١، ص ١٤٨.

٣٩) سلمان : المصدر السابق، ص ١٧٢.

٤٠) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

٤١) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

٤٢) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

٤٣) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

٤٤) المصدر نفسه، ص ١٧٧ – ١٧٩.

٤٥) التوتونجي، نجاة يونس : المحاريب العراقية، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٣٩.

٤٦) سلمان : المصدر السابق، ص ١٧٩.

شكل (١)

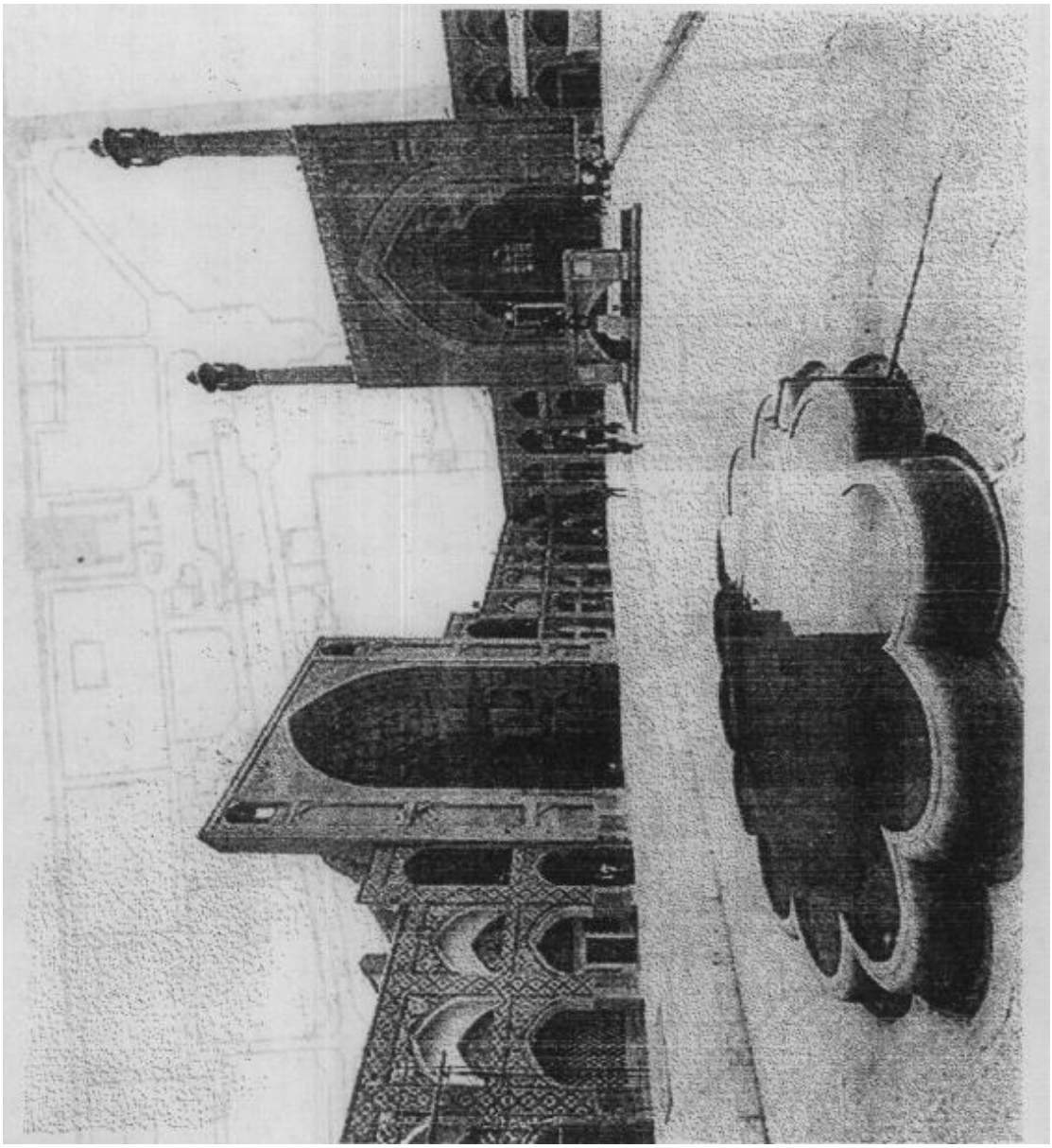

شكل (٢)

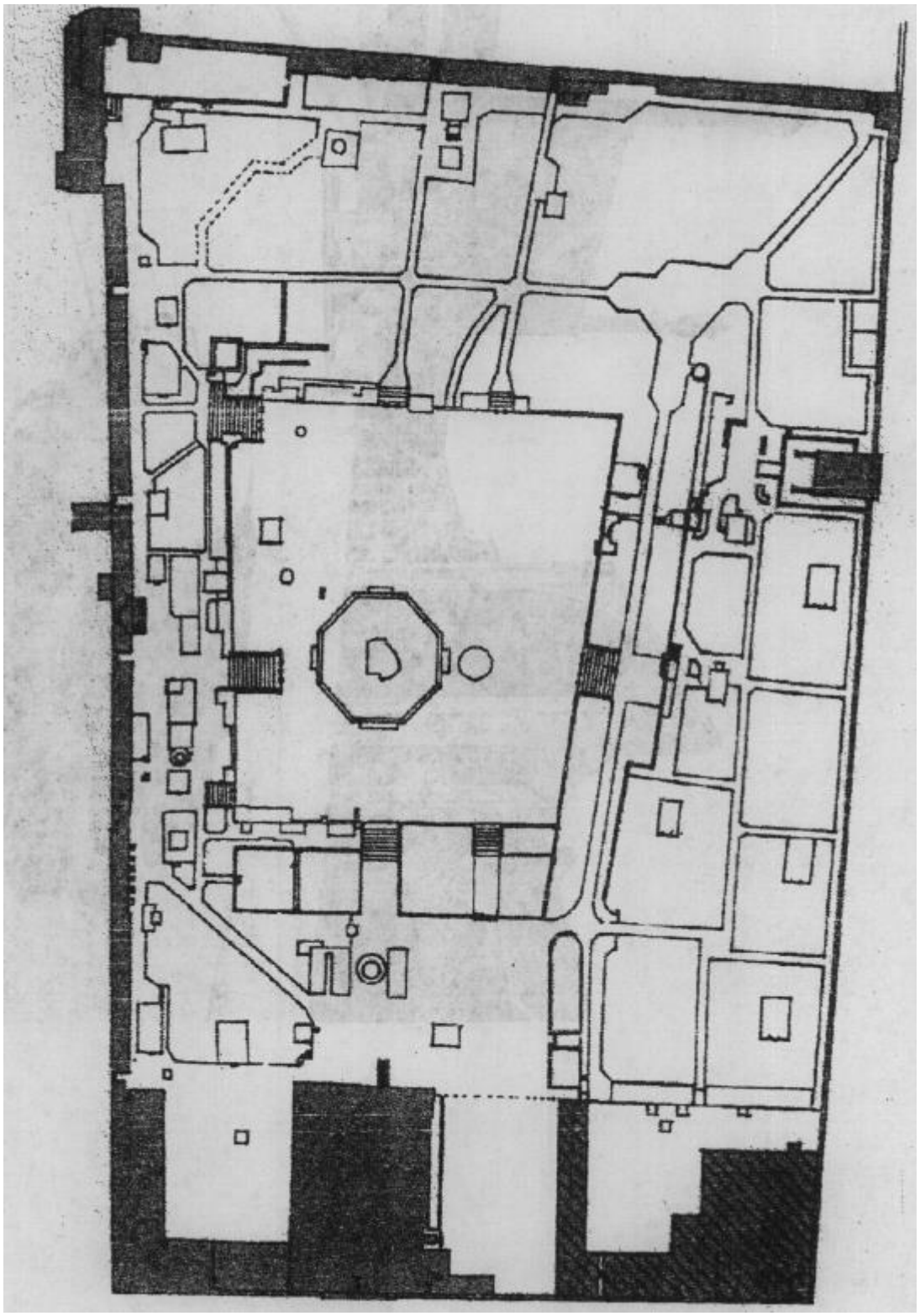

شكل (٣)

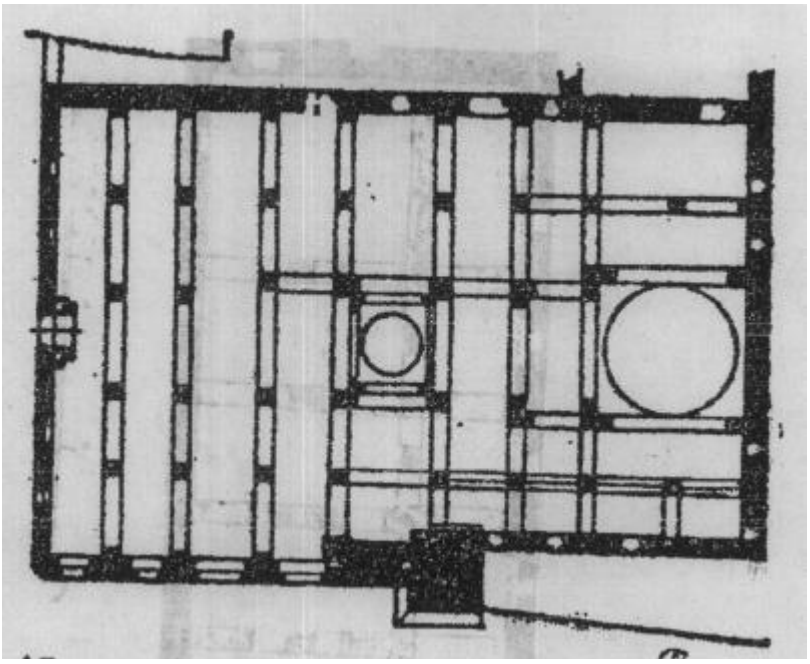

شكل (٤)

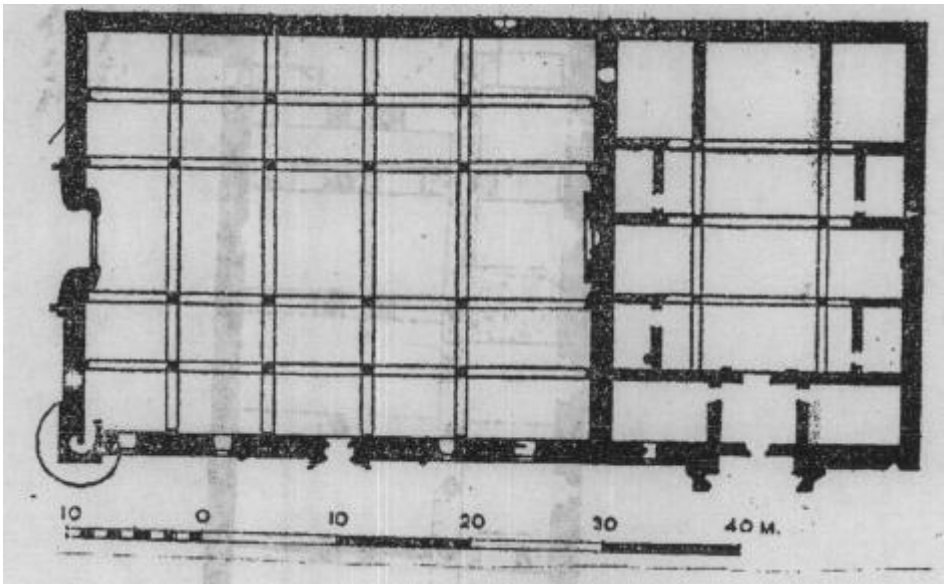

شكل (٥)

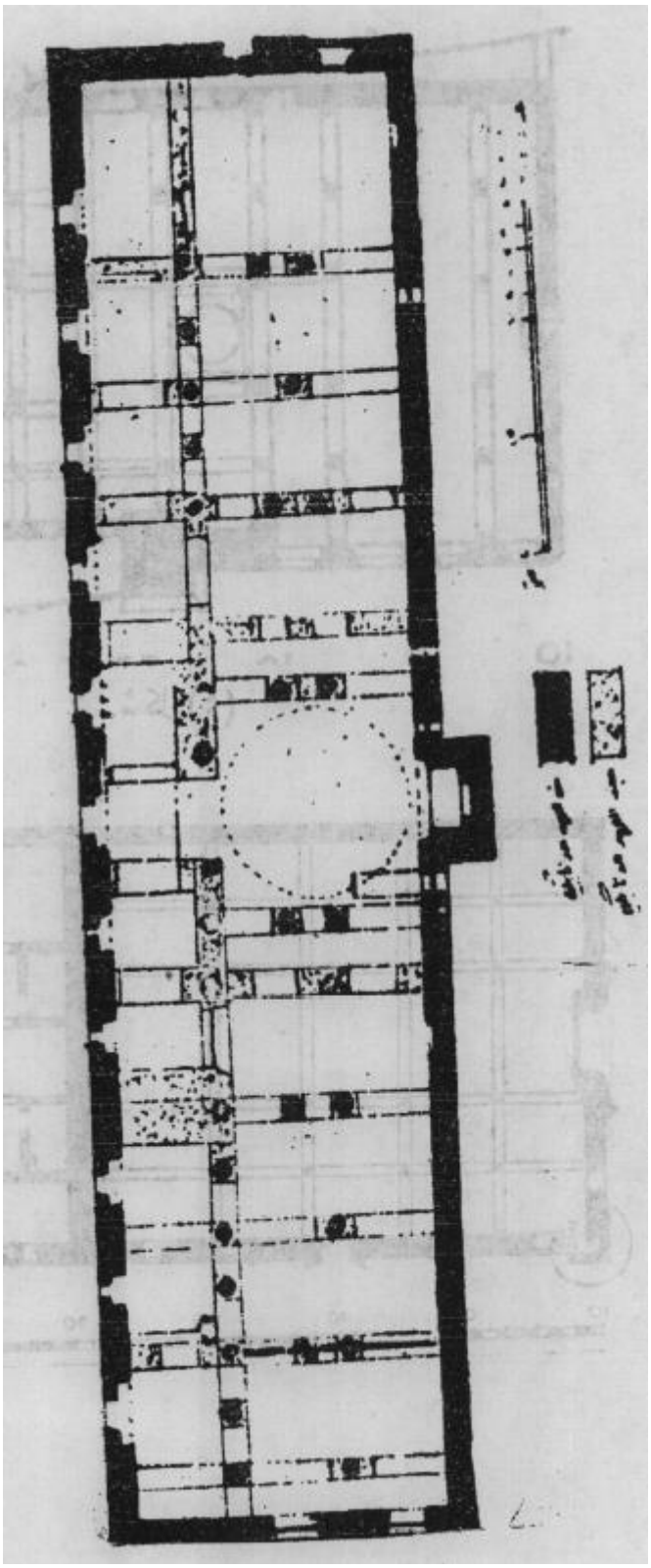

شكل (٦)

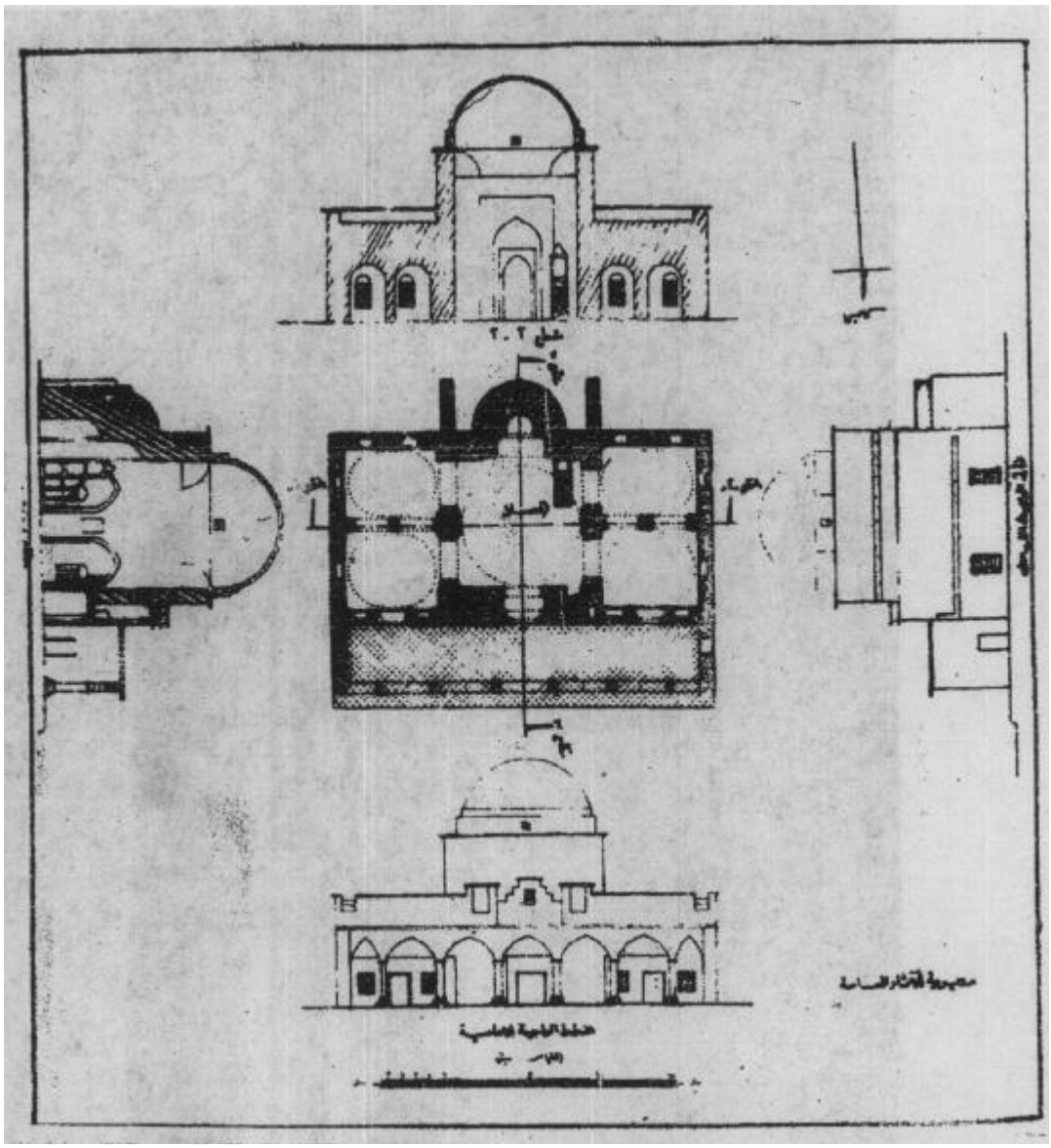

شكل (٧)